الطفل فى السينما

حالة ستيفن سبيلبرج

أ.محمود قاسم

لم تعرف السينما العالمية مُخرجًا مهتمًا بالأطفال، كأشخاص أساسيين فى أفلامه، بنفس القدر، أو الكيفية التى ظهرت فى أعمال "ستيفن سبيلبرج".

ومن الواضح أن تجربة فيلم "صوت الموسيقى" كانت فى ذهن المخرج بكل قوة، وهو يقوم على مسيرته الفنية، إذ لا يكاد يخلو فيلم من أعماله، إلا نادرًا، من وجود الأطفال فى الحدث الرئيسى، وذلك ابتداءًا من فيلمه الروائى الثانى "شوجر لاند إكسبرس"، وحتى آخر أفلامه المعروضة "الذكاء الصناعى". وقد بدت هذه السمة فى العديد من الأفلام التى شارك فى إنتاجها أيضًا من إخراج تلاميذ له، أو زملاء من نفس الجيل.

فى الفيلم الثانى الذى قدمه المخرج عام ١٩٧٤م، بدا الاهتمام الشديد لـ "سبيلبرج" بالأطفال، فبسبب طفل صغير خرجت كل هذه الأساطيل من سيارات الشرطة من أجل الطفل الصغير، الذى "خطفه" أبواه من أيدى الشرطة حتى لا يذهب إلى أسرة غريبة تتبناه، ووالداه على قيد الحياة.

الأب كلوفيس (ويليام آثرقون) خارج عن القانون، وفى طريقه إلى السجن. أما الأم لو (جولدى هاون) فهى منفصلة عن الأب، وتعمل فى علب الليل، يحاول كلوفيس أن يمنع الشرطة من توصيل ابنه إلى الأبوين الجدد، فيختطف سيارة شرطة مع راكبها ضابط البوليس، وتلحق به زوجته السابقة تؤازره، وتدور المطاردة بين سيارات

الشرطة، وبين سيارة الوالدين اللذين يريدان اللحاق بابنهما قبل تسليمه الرسمى إلى الأسرة الجديدة.

إنه فيلم عن أبوين يفعلان أى شىء من أجل إنقاذ مشاعر الأبوة، والأمومة. حتى وإن كانا منفصلين، أو خارجين عن القانون، والطفل هنا حاضر دومًا، وهو صغير لا يعى ما يحدث من حوله، لا يكاد يتكلم، لكنه بؤرة الأحداث تقريبًا.

والجدير بالذكر أن الفيلم من تأليف المخرج نفسه الذى ترك كتابة السيناريو لاثنين من الكتّاب مثلما سيفعل معه لاحقًا فى فيلم "الفك المفترس" الذى يعتمد على حكايات الكبار، لكن الأطفال موجودين به بقوة، فالأطفال هم الذين ينزلون إلى الشاطئ يمرحون، ويتنزهون، كما أنهم أول ضحايا سمكة القرش على شاطئ "آميتى".

والمشهد الذى هاجم فيه القرش الشاطئ، كان أغلبه من الأطفال، والصبية الذين دفعهم الجزع للخروج من المياه، كما أن الأطفال هم الذين قاموا بالخدعة التى أثارت خوف الآخرين، فقاموا بارتداء قناع سمكة القرش، وسببوا هذا الهلع الشديد، والصبى الذى فى العاشرة يموت بين فكى القرش، فتذهب أمه لتبصق فى وجه الشرطى الموكل له أمن الشاطئ مارتن برودى "روى شيدر" هذا الشرطى له ولدين صغيرين ينزلان إلى الشاطئ، ويخاف عليهما، هما "شون" و "مايكل"؛ مما يعطى الإحساس بازدواجية الأمن، فالضابط يحمى الشاطئ بسبب وظيفته وأيضًا من أجل سلامة ولديه، فأحدهما يختفى عن الأنظار، مما يصيب الأب بالهلع ويتصور أنه ضحية للقرش.

الأطفال موجودون هنا بشكل قوى، وتتحرك الأحداث من أجل حمايتهم رغم أن الكبار هم الذين يتولون المسئولية لحماية الشاطئ من القرش ذى الفك المفترس، والأطفال هنا أكبر سنًا مما رأينا فى الفيلم السابق، إنهم قادرون على المرح، والسباحة، وتدبير المقالب الشديدة الخطورة، كما أن بعضهم يخرج على عرض البحر فى زورق شراعى للتسلية، وهناك يشاهدان القرش، ويحاول التربص بهم.

ولاشك أن "سبيلبرج" قد أحس فى تلك المرحلة بأهمية وجود الأطفال، كضحية للأحداث؛ مما يزيد من التأثير على مشاعر المتفرج، فكانت المشاهد التى يهاجم فيها السمك المتوحش الشاطئ بمثابة نقاط من الدم الأحمر الممزوج بالرعب، والهروب اللاهث إلى بر الأمان.

وفى الفيلم التالى "لقاءات قريبة من النوع الثالث" ١٩٧٧، زادت مساحة تواجد الأطفال، وصار هناك طفل، يتحدث، ويتكلم، ويقوم بدور رئيسى فالبطولة الرئيسية هنا للطفل بارى جيلر (جارى جوفى) الذى يستيقظ من النوم فى إحدى المدن الأمريكية، حين استمع إلى صوت موسيقى غريب، وفتح عينيه ليرى إحدى ألعابه، وهى تتحرك تلقائيًا، وتحدث الصوت، بدون أى دافع ظاهر، كما رأى الطفل ألعابه الأخرى، ومنها السيارة الصغيرة، والقطار الذى يعمل بالبطارية، تتحرك أيضًا، وتدور فى الحجرة.

وعندما يغادر "جارى" فراشه ويخرج إلى المطبخ، فإذا به يرى علب الكوكا كولا المعدنية تفتح وحدها، لينسال ما بداخلها، فى حين اندفع الباب إلى الداخل وكأن يدًا عملاقة قد قامت بفتحه.

وهذا الطفل يعيش وحيدًا مع أمه جيليان (ميليندا ديلون) والتى تستيقظ على هذه الظواهر الغريبة فى منزلها، فالتليفزيون يبدأ إرساله بشكل تلقائى وعندما تبحث عن طفلها فإنها لا تجده... لقد اختفى.

الطفل الذى يتعرض للخطر، والأحداث المجهولة، موجود بشكل مجدد فى الفيلم، وقد بدا كأنما اختطفته قوى مجهولة لا يعرف هويتها أحد، والفيلم بمثابة رحلة من الأم الملهوفة للبحث عن ابنها الضائع، وتستعين بالعالم روى نيرى (ريتشارد دريفوس) من أجل معرفة مصير ابنها. لقد خرجت أغطية البالوعات فى منزل الأم من الأرض، رغم المسامير التى تثبتها، واختفى الصغير عبر البالوعات وحاولت الأم أن تجذبه وتبقيه بلا جدوى.

وطوال الرحلة التى قام بها روى لكشف الظواهر الغامضة، فإن "جيليان" تصحبه من أجل التعرف على مصير ابنها، وتكتشف أنه قد ذهب إلى هناك، إلى عالم آخر، وأنه سيعود من الفضاء الخارجى فى طبق طائر يقوده مخلوقات غريبة، أطلق عليها الفيلم اسم النوع الثالث، تتميز بأنها صغيرة الحجم، قصيرة القامة، كالأطفال فى صفاتها. تلك الطفولة التى يعزف عليها "سبيلبرج" دومًا فى أفلامه.

وهذه سمة أخرى، فليس الأطفال فى سينما "سبيلبرج" هم وحدهم الصغار، بل أغلب المخلوقات الذين يتواجدون فى محيط هؤلاء الأطفال، منهم "آى تى" كما سنرى، فهو أشبه بهؤلاء المخلوقات التى جاءت فى سفينة الفضاء، حاملة الطفل "بارى"، هى كبيرة الرأس، بالنسبة للجسم، وواسعة الأعين، وتتسم بوداعة فى نظراتها، إنها مخلوقات لغتها الموسيقى، والإشارات.

ومن الواضح أن الفيلم التالى للمخرج، كان بمثابة الجزء المكمل، أو اللاحق لما رأيناه فى هذا الفيلم، فهناك طبق طائر يحوم حول الأرض، وينزل فى رحلة استكشافية غامضة، والقادم من الفضاء، والذى يتصرف بنزق كالأطفال، فيدفع الثمن أنه لا يستطيع اللحاق بالطبق الطائر عندما يحوطه الخطر، ويكون الثمن أنه يتوه فى الأرض، ويتعرض للخطر، وكأنه نفس المصير الذى سبق للطفل "بارى" أن مر به.

"آى تى" له نفس السمات الجسدية، والعمرية تقريبًا، فبالإضافة إلى رأسه الأكبر قياسًا إلى حجم جسده، فإنه يتسم بعينين واسعتين، ورقبة طويلة، وهو أقرب إلى نسخة معدلة لما كانت عليه مخلوقات الفيلم السابق.

وتكون المصادفة أن ينزل هذا المخلوق إلى مكان قريب، تسكن فيه أسرة أشبه بأسرة الأم جيليان فى الفيلم السابق، عدا أن الأم هنا لها ثلاثة أبناء هم إليوت (هنرى توماس)، وابنة هى جريتى (دروبا ريمور) ثم مايكل (روبرت ماكنفتون).

المنزل الذى نزل به المخلوق القادم من الفضاء، يعيش به الأطفال الثلاثة مع أمهم، بعد أن هجرهم أبوهم إلى المكسيك، وعاش مع امرأة أخرى، وهؤلاء الصغار يتصرفون كأشخاص يحسون بقيمة المسئولية، فهم قادرون على تحمل غياب الأب وهم أطفال لا يعانون من متاعب كبرى رغم غياب العائل.

وإلى هذه الأسرة يأتى "آى تى" يبدو فى البداية منفرًا، فيصرخ إليوت حين يراه لأول مرة، ثم يكتشف أنه أمام طفل أقرب إليه فى الصفات، رغم الهيئة الغريبة التى شاهده عليها.

ومنذ اللقاء الأول نكتشف أننا لسنا فقط أمام ثلاثة أطفال فى أسرة واحدة، بل أن المخلوق الفضائى هو فى حقيقة الأمر طفل رابع، صار عليهم أن يحتمى بهم وأن يدافعوا عنه، فالفيلم ركز على علاقة الصداقة التى نشأت فى البداية بين إليوت وبين المخلوق القصير الصغير، ويحدث بين الصغيرين نوع من التوحد النفسى حين تتلامس أطراف أصابع كل منهما، يشع من المخلوق ضوء خاص يعكس ما يتمتع به من قدرات غير عادية.

وشيئًا فشيئًا يدخل "آى تى" إلى حياة الأسرة، فتتعرف عليه الأخت "جريتى" التى تفزع منه فى البداية، ثم يأتى دور الأخ الأكبر "مايكل"، ويتفق الثلاثة أن يتكتموا خبر وجود هذا المخلوق عن الأم حتى لا تضطر إلى إبلاغ الشرطة بوجوده فى منزلها.

فى الفيلم تتكشف رؤية "سبيلبرج" للأطفال على أفضل ما يكون فى أفلامه، فالصغار هنا هم الأشخاص الرئيسيين، أما الأم فتزوى فى الأحداث، ويبدو وجودها ثانويًا قياسًا إلى العلاقة الحميمة التى تمت بين الأطفال، والصغير القادم من كوكب بعيد.

وبعد أن تنمو العلاقة القوية بين الأشقاء الثلاثة وبين "آى تى" تتسع دائرة الأطفال فيأتى أصدقاء الحى، والمدرسة، ويتكتل الصغار حوله، يتفاهمون معه ويحاولون أن يعلمونه بعض الأشياء الصغيرة، مثل استخدام التليفون على سبيل المثال، كما أن الأطفال يحاولون حمايته من أى أخطار ويحرصون على عدم تسريب خبر وجوده خارج دائرتهم الصغيرة وخاصة عن الأم مارى.

يقول رؤوف توفيق فى مقال عن الفيلم، نشره فى مجلة الدوحة (أغسطس ١٩٨٢) لا تملك كمشاهد طوال تلك اللحظات سوى الضحك والدهشة من تصاريف الأطفال، وخفة ظلهم، وفى نفس الوقت الإحساس بالقلق على هذا المخلوق العجيب، بعد أن تعودت على شكله الغريب، وحنينه الجارف للعودة إلى أهله وبيته.. إنه يردد دائمًا كلمة "البيت".

لذا، فإن "إليوت" يحاول أن يجد وسيلة اتصال بالعالم الخارجى، حتى يتمكن "آى تى" من التواصل مع عشيرته، ويتمكن "إليوت" من جمع بعض النفايات غير المفيدة فى المنزل، من أجل عمل هوائى خاص، يتمكن من تركيبه فوق التل المرتفع، ويتمكن "آى تى" بالفعل من التواصل الأولى مع أهله الذين يسكنون على مسافة طولها عدة سنوات ضوئية، لكنه يفشل، ويحدث توحد جديد بين الصبى إليوت، ومخلوقه، فكلاهما محروم من الأب، لكن "آى تى" أكثر غرابة، لذا فإنه يصاب بالمرض، ويعجز الأطفال عن علاجه.

ويصل التوحد إلى قمته بين الاثنين، فـ "إليوت" أيضًا يصاب بمرض مشابه، ويفقد الوعى، بعد أن يتم القبض على المخلوق، وإيداعه مكان سرى تحت الرعاية والفحص الدقيق.

يبدو السيناريو الذى كتبته "ميليسا مانيسون" بالغ الذكاء، وهو يعزف على هذا التوحد المتولد بين الاثنين، فعندما يسترد "آى تى" وعيه، فإن نفس الأمر يحدث بالنسبة للصبى، ويسرع إليه مع أخويه، وبعض الأصدقاء ويقومون باختطافه بهدف إنقاذه من معاناته، والعمل على إعادته إلى أسرته.

ويعزف الفيلم على مشاعر عديدة متأججة، أهمها أن "آى تى" ابن يتوق إلى أسرته، ما يجسد من مشاعر الحب القوية بين "آى تى" والمشاهد نفسه فنحن أمام ابن بار، يسعى إلى الاتصال بأبويه بأى ثمن، وإذا كان الأب قد هجر أسرته إلى "المكسيك" من اجل امرأة أخرى، فإن سكان الفضاء أكثر تماسكًا، وهم بالفعل سيرسلون طبقًا طائرًا جديدًا من اجل استعادة طفلهم، وسط مطاردات، حاول "سبيلبرج" أن يخفف من حدتها فى الطبعة الجديدة من الفيلم التى عرضت عام ٢٠٠٢م.

ومشهد المطاردة التى قام فيه الأطفال بالهروب من رجال الشرطة وآلياتهم يجعل من الصغار أبطال حقيقيين، ويوسمهم بالشجاعة، ويجعلنا نراهم مليئين بالإقدام، والقدرة على المغامرة والدهشة، حتى يأتى الطبق الطائر، وتحين النهاية، فيودع "إليوت" صديقه، وكل منهما تغالبه الدموع، ويردد باللغة التى تعلمها من إليوت أنه سيعود إلى بيته.

يصنع "سبيلبرج" فيلمًا أسريًا فى المقام الأول، فالأطفال البشر يحمون منزلهم والطفل "آى تى" لا يحس بقيمته إلا فى منزله، فى الكوكب البعيد، وتلك سمات واضحة فى أفلام المخرج، خاصة التى بها أطفال، لكن هذه السمة بدت اكثر تجسيمًا فى "آى تى".

الفيلم التالى مباشرة كان "إنديانا جونز والمعبد الملعون" عام ١٩٨٤ وفيه كان الطفل دوره صغير وهذا هو اسمه (الممثل الفيتنامى الأصل كيوهوكوات) هو واحد من الأبطال الثلاثة الرئيسيين الذين قاموا بالمغامرة فى آسيا. وذلك إلى جوار الفتاة ديلى (كيت كابشو) وإنديانا جونز نفسه (هاريسون فورد) فقد قام هذا الأخير بإنقاذ الطفل من موت محقق، واصطحبه معه فى مغامراته، وشاركه مغامراته بالغة الخطورة.

وهذا الطفل الممثل الفيتنامى الأصل، هاجر مع أسرته فى قوارب اللاجئين إلى الولايات المتحدة. ومنحته الولايات المتحدة حق اللجوء إلى أراضيها مع عدد محدود من المهاجرين وقبل أن يمثل الصبى الصغير فى الفيلم، لم يكن قد سمع من قبل عن السينما، ولم يكن شاهد فيلمًا فى حياته التى قضى معظمها فى معسكرات زراعة الأرز فى فيتنام.

ويقول سبيلبرج : اكتشفته فى لوس أنجلوس بعد أن فتشنا الكرة الأرضية بحثًا عن طفل يقوم بدوره دون جدوى، وعندما التقيته كان لا يعرف معنى سينما وأعتقد أن هذا فى صالحنا، وقد عرضنا له فيلم "غزاة القوة المفقودة" لنوضح له المطلوب منه، وقد أبدى حماسة غير طبيعية وموهبة فطرية رائعة أثناء التصوير.

وقد استعان سبيلبرج بالممثل الطفل ليقوم بدور البطولة فى الفيلم الذى أنتجه عام ١٩٨٥ بعنوان "شرنقات".

وفى الجزء الثالث من سلسلة "إنديانا جونز" تحت عنوان "الحملة الصليبية الأخيرة" عام ١٩٨٩ حاول المخرج أن يعود إلى طفولة بطلة، وإثبات أنه عرف روح المغامرة منذ صباه، فصور لنا مجموعة من مغامرات إندى الصغير الذى تعلم روح المغامرة على يد أبيه "هنرى جونز"، العالم الأثرى المهتم بآثار العصور الوسطى. فقام بتوريث ابنه حب مهنته، وطلب منه البحث عن صليب ذهبى ضائع فى إحدى المقابر، وفى أثناء هروبه، يجرح فى ذقنه بضربة كرباج لا يستطيع أن ينساها، حتى إذا كبر

"إندى"، وصار عالم آثار مثل أبيه، فإنه يسافر حول العالم ويعرف أن أباه اختفى فى مدينة فينيسيا وأنه فى طريقه للعثور على الصليب الضائع.

كان سبيلبرج قد جعل من الطفل الشخصية الرئيسية فى فيلم "إمبراطورية الشمس" عام ١٩٨٧، ويبدو أنه وجد منشورة فى رواية الكاتب البريطانى ج. ج. بالارد فأسرع بدفعها لاثنين من كتاب السيناريو لإعدادها، وليبحث مجددًا عن طفل صغير يقوم بأداء دور الصبى جيم جراهام، والذى أدى دورًا صغيرًا فى فيلم "أرض البعاد" فى نفس السنة، وهو كريستيان بايل.

ومن المهم الإشارة أن جميع الأطفال الذين اكتشفهم "سبيلبرج" فى أفلامه كانوا شبه اكتشافه الأول، وأنهم لم يلمعوا كثيرًا بعد العمل معه، عدا اسمين بارزين هما : "دروبا ريمور" طفلة "آى تى"، وهايل جويل أو سمونت بطل فيلم الذكاء الصناعى.

وجيم هو الشخصية الرئيسية فى الفيلم، فهو فى الثالثة عشر من العمر، ولد فى مدينة شنغهاى الصينية، لأبوين بريطانيين، يعمل الأب دبلوماسيًا فى الصين قبل الحرب، وعندما تبدأ الحرب العالمية الثانية، تقوم القوات اليابانية بغزو الصين، ويدخل جيش اليابان إلى شنغهاى، ويجد "جيم" نفسه شريدًا، تائهًا عن عائلته، وسط مدينة تهرب من قسوة الغزو، وبشاعته، ويتم اقتياد "جيم" أسيرًا إلى أحد معسكرات الاعتقال.

وفى المعسكر يجد جيم نفسه فى عالم جديد لم يألفه، ولم يتوقع أن يعيش فيه فهو يعانى من الجوع، والوحدة، ويتعرف على أسير أمريكى يدعى باسى (جون مالكوفيتش) يساعده على تدبير أمور المعيشة، ويكتشف أن هذا الأمريكى يتكلم الإنجليزية بلهجة ونبرات مغايرة لإنجليزيته، كما أن له ثقافة مختلفة.

وينتقل جيم إلى معسكر آخر أشد قسوة، ويعانى من مشاكل عديدة، ويظل على هذا الحال إلى أن تنتهى الحرب، ويعود إلى أبويه.

الطفل هنا مختلف بالطبع، والظروف من حوله مغايرة تمامًا لكافة الظروف التى عاشها أبطال المخرج فى أفلامه الأخرى، فنحن لسنا فى عوالم وردية، ومغامرات قدر ما نحن فى أجواء استكشاف لقسوة الحرب ومعاناة الغربة، وكل ما هناك أن البطل بعيد عن أبويه، ويعانى الأمرين، لكن الجديد، هو أن جيم لا يتوقف عن اكتشاف العالم الغريب من حوله، وهو فى مرحلة تحول من الطفولة إلى الصبا ثم الشباب.

وفى أحد أحاديث "سبيلبرج" أشار إلى أن المخرج "دافيد لين" أحد الأشخاص الشغوفين بتحويل الروايات إلى أفلام هو الذى دفع الرواية إليه، ونصحه أن يخرجها، وفى نفس الأحاديث الصحفية التى أدلى بها المخرج فى نفس السنة ١٩٨٧ أشار إلى أنه بصدد إعداد فيلم عن شخصية الصبى المغامر الفرنسى "تان تان" وأن كاتبة السيناريو "يوميليا ماتيسون" كاتبة سيناريو فيلم "آى تى" هى التى تولت هذا العمل، لكن يبدو أن "سبيلبرج" كان يفكر فى مغامر أمريكى هو الكابتن هوك، أحد أبطال قصص المرسومة التى يقوم ببطولتها المغامر الطائر "بيتربان"، ومن هنا جاء فيلمه هوك عام ١٩٩١.

ورغم أن "بيتربان" فى هذه الحكايات طفل مغامر فإن سبيلبرج قام بإنضاج بطله وجعله شابًا يافعًا، وربما رجلاً فى عمر الممثل "روبن ويليامز" الذى جسد الدور.

حاول "سبيلبرج" أن يعيد تجسيد واحد من أبطال قصص الأطفال الذين صنعوا له أحلامه الأولى ومنهم أشرار تلك القصة الكابتن "جيمس هوك"، القرصان الذى تبعث كل تصرفاته على الضحك.

ليس هنا أبطال بالمعنى المتعارف عليه، لكن سبيلبرج ينزع الطفولة من بيتربان ويمنحه رجولة، ويبدو البطل هنا، وقد تجاوز الأربعين تقريبًا، لكنه لا يتوقف عن التوغل فى عالم الأحلام، وكأنما المخرج يود رؤية بطله القديم وقد صار فى نفس سنه تقريبًا أى كبر معه، تمر به السنون ولايزال طفلاً كما كان.

وقد وقع بيتربان فى الحب، وتزوج، وأنجب أبناء، وقد شغلته الحياة عن أسرته لأنه رجل أعمال ناجح، لكن الجنية (الجرس الصغير) تأتيه فى أحلامه، وتدفعه للذهاب لمقاومة الكابتن هوك، الذى قام باختطاف طفليه الصغيرين، فيعود إلى أحلامه، وخيالاته، ويسعى لإنقاذ أطفاله.

الأماكن تبدلت هنا، فالأطفال هنا هامشيون، أما الأب، فهو البطل الرئيسى، وهو يكتسب لنفسه كافة صفات بيتربان، وهو يقاتل خصمه الساخر فى سفينته.

وفى حديث إلى مجلة يوليس ٢٠٠٠ ردد سبيلبرج : "بيتربان هو واحد من أكبر ذكريات طفولتى، وكم قامت أمى بقراءة هذه القصص عندما كنت فى الثالثة ومنذ ذلك الحين ظل فى داخلى، قبل سوبرمان، وقبل الرجل الوطواط، وآى تى، وإليوت، وقبل أى بطل آخر، كان بيتربان أول شخص أراه يطير فى حياتى. وعندما كنت فى الحادية عشر أخرجت فيلمًا عن هذه الشخصية مع مجموعة من الأصدقاء عن الكتاب الذى ألفه جيمس بارى للكبار. وقد وضعت هذا فى أول مشهد من فيلم هوك. وعندما كبرت، رأيت بيتربان فى التليفزيون بعينين مختلفتين، واشتريت حقوق إنتاجه عام ١٩٨٥".

وفى ثنائية "حديقة الديناصورات" التى أخرجها سبيلبرج، كان الأطفال بمثابة الشخصيات الرئيسية، فهناك الطفل جيم، وأخيه أليكس يذهبان فى صحبة العالم الدكتور آلان جرانت إلى حديقة الديناصورات التى يمتلكها الجد الدكتور جون هاموند، إنها حديقة تقع بعيدًا عن الأعين البشرية، وقد تمكن هاموند من الاستفادة من خلية ديناصور عثر عليها حية، واستطاع إعادة تخليق ديناصور بل عدة ديناصورات، وأعاد زمن وحيوانات ما قبل التاريخ.

والفيلم المأخوذ عن رواية كاتب الخيال العلمى مايكل كرايتون، ويصطنع مطاردات بين الديناصورات وبين الطفلين، ويطاردهم عبر الحديقة الجوراسية، ويكشف الفيلم أن هناك أنواع من مخلوقات صغيرة يمكنها دخول البنايات من النوافذ إلى ديناصورات عملاقة قاتلة، وهى نفس الديناصورات التى ستظهر بقوة فى الجزء الثانى. حيث سيعود أطفال آخرون بصحبة العالم هاموند إلى نفس المكان وتقوم الحيوانات الصغيرة التى تنتمى إلى ما قبل التاريخ بالهجوم على طفلة صغيرة وتقتلها.

من الواضح أن سبيلبرج لم يعد يصنع عوالم وردية للأطفال، مثلما كان يفعل مسبقًا، بل أن الأطفال هنا يتعرضون لأخطار حقيقية، ويكادوا أن يموتوا قتلى على أيدى الحيوانات شديدة الافتراس، بعضهم ينجو، مثلما حدث فى الجزء الأول، والبعض الآخر يتحول إلى وجبة دسمة فى بطون الديناصورات الصغيرة. بينما يقوم المغامرون الكبار

بالتجوال فى الحديقة الجوراسية، وتدور مطاردات مزدوجة بين العلماء والديناصورات، إحداهما يطارد الآخر مرة، والثانى يرد المحاولة فى المرة التالية.

إذن، فالأطفال قد تغيرت أدوارهم فى الأفلام الأخيرة التى قدمها سبيلبرج ورغم ذلك صارت الديناصورات نموذجًا محببًا للأطفال، وتحولت إلى دميات يحتفظ الصغار بنماذج تمثلها وسط دمياتهم وألعابهم.

أما الطفل فى فيلم "الذكاء الصناعى" فهو روبوت، أى أنه شخص مختلف عم رأيناه، إنه من طراز "لاندرون" والمقصود به الروبوت ذو الملامح الإنسانية من الخارج. لكنه من الداخل عبارة عن آلات وخيوط إلكترونية، لذا فليس من المستغرب أن يكون دافيد رافضًا لالتهام الطعام مثل أفراد أسرته البشرية، وعندما يدخل هذا الطعام إلى بطنه، عندما يفعل ذلك مرغمًا، فإن الأمر يستلزم أن تقام له عملية جراحية آلية.

ولأن الأقصوصة التى كتبها براين الديس قديمة بعض الشىء، فإن الفكرة تبدو فى حاجة إلى إعادة نظر، فيما يخص الشكل الذى سبق أن رأيناه فى أفلام متقاربة، مأخوذة عن قصص قصيرة أخرى لكاتب من نفس القامة، ومنها فيلم "رجل القرن" المأخوذ عن أقصوصة "إسحاق آزيموف"، وفيه رأينا كيف تحول الروبوت على مر الزمن إلى كائن بشرى يقع فى الحب ويصاب بالشيخوخة بعد أن عانى كثيرًا من الأبدية.

حسب منظور الفيلم، فإنه فى عام ٢٠٥٠، تمكن عالم من اختراع أندرون قادر على الحب، ويدفع بهذا الطفل إلى أسرة فقدت لتوها ابنها الوحيد بأن تم إيداعه أحد المستشفيات بين الحياة والموت، أى أن الابن الصناعى هنا يقوم بدور بديل عن الابن الطبيعى، لكن أسرة مونتون تستعيد ابنها بعد أن تم شفائه، وتصبح هناك مواجهة بين الابنين الأول صناعى، لم يعد مرغوبًا فيه، والثانى هو الابن الحقيقى، البشرى، لكن الفيلم يكسب للصغير الآلى حسًا بشريًا بدائيًا، فهو يشعر بالغيرة من أخيه ويتصرف حسبما هو مبرمج به، بأن يتمكن من خنقه دون أن يدرى أنه يؤذيه، ويشكل خطرًا عليه.

فى هذه الأثناء كان قد تولد شعور متبادل بين الأم وبين ابنها الندرويد فهى تشعر نحوه بالأمومة وهو يشعر تجاهها بأنه الابن، وأمام هذا الموقف العنيف كان لابد أن تأخذ الأسرة موقف تجاه الابن الصناعى، بأن تتخلص منه، خاصة الأب الذى لم يشعر أبدًا بأى عاطفة أبوة تجاه دافيد.

لكن أمام أمومة منقسمة، فإن السيدة سوينتون تضطر أن تتخلص من ابنها، ويأتى هذا فى وقت تنتشر فيه، داخل المدينة، ظاهرة التخلص من الآليين، من خلال مهرجانات جماعية، باعتبار أن البشر اكتشفوا ضرر وجود الآليين، ويحاول الفيلم أن يعطى إحساسًا أن البشر متوحشين وأن ما يفعلونه ضد الشعور البشرى باعتبار أن الخوف، والموت، والحب، والترقب، وأيضًا ممارسة الجنس صارت من أعمال الآليين أيضًا.

والغريب أن هذه الأم، عندما تعود إليها الحياة بعد ألفى عام، لا تفكر فى ابنها الآخر البشرى، قدر ما تشعر بأمومتها تجاه الابن الصناعى دافيد، كما أنها ترتد إلى الوراء، وتشبع مشاعرها تجاه ابنها الذى طلب من الساحرة أن تعيد إليه أمه، ليشعر بها من جديد، قبل أن يتحول إلى آدمى ويموت.